## (٣) التوحيد عند المخالفين

أما وقد عرفنا أنواع التوحيد أو حقيقة التوحيد عند أهل السنة والجماعه وأنه توحيد يتعلق بالمعرفة والإثبات، وتوحيد يتعلق بالقصد والطلب، أو ما ينسدل منه من توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات **فينبغي لنا أن نعرف ما حقيقة التوحيد عند من يفارقنا من المنحرفين، فما هو التوحيد عند المتكلمين؟**

**التوحيد عند المتكلمين:** يقولون الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له، هذا التوحيد الذي يفني فيه المتكلمين أعمارهم ويسودون فيه أوراقهم يقول قائلهم: واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له، ولو تأملنا لوجدنا أن جميع هذه القضايا الثلاث كلها تتعلق بالمعرفة والإثبات وليس لتوحيد العبادة فيها نصيب تأملوا معي يقولون:

١. (**الله واحد في ذاته لا قسيم له**): هذا كلام مجمل، ما هو مرادهم بقوله واحد في ذاته لا قسيم له؟

إن كان المراد بقولهم أن الله سبحانه وتعالى ذات واحدة لا تشبه الذوات ولا تتجزأ ولا تتبعض فهذا حق، لاشك أن الله سبحانه وتعالى أشرف الذوات، لكنهم يريدون بهذا ما يسمونه نفي صفة التركيب نفي شبهة التركيب، كيف؟

يزعمون أن إثبات الصفات الخبرية لله عز وجل يقتضي التركيب والتقسيم؛ فإثبات ما أثبته الله لنفسه من الوجه واليدين والعينين وغير ذلك من الصفات الخبرية يقولون: هذا ينافي هذا التوحيد فالله واحد لا قسيم له وإذا أثبتم لله عز وجل عز وجل هذه الصفات فقد قلتم أنه قابل للأبعاض والأجزاء، فلذلك يأتون بهذه العبارة المجملة ليَحْطِمُوا بها عقيدةً أخبر الله تعالى بها عن نفسه وأخبر بها عنه نبيه صلى الله عليه وسلم ، أفأنتم أعلم بالله من الله؟ أفأنتم أغير على الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنتم أصدق من الله قيلاً؟ أأنتم أحسن من الله حديثاً؟

هو سبحانه وتعالى أخبر بأن له وجهاً كريماً فقال سبحانه: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ } [الرحمن: ٢٧]** وأخبر سبحانه أن له عينين كريمتين: **{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: ٣٩] {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر: ١٤]** أخبر سبحانه أن له يدين مبسوطتان بالعطاء والنعم **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]** ، فكيف تزعمون أن ذلك يدل على التقسيم والتبعيض والتجزأة؟ هو سبحانه أعلم بنفسه.

**فإذاً** مرادهم بقولهم واحد في ذاته لا قسيم له: يريدون بذلك إنكار الصفات الخبرية.

---

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

٢. قولهم: (**واحدٌ في صفاته لا شبيه له**): لا شك أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لكنهم يتوصلون بهذه الجملة إلى إنكار الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه بدعوى أنها مما يتصف به المخلوق، وحينئذ فلا بد من حملها على محامل مجازية:

- فإذا أخبر الله سبحانه وتعالى بأن له وجهاً فإن المخلوق له وجه، **إذاً**: الله واحد لا شبيه له، إذاً: فينبغي أن يكون وجهه ثوابه أو ذاته وليس وجهاً حقيقيا يليق به .
- إذا أخبر الله تعالى بأن له يدين كريمتين فينبغي تأويل اليد عندهم إلى النعمة أو القدرة إذ اليد مما يتصف به المخلوق.. وهكذا..
- إذا أخبر الله تعالى بأن له عينين كريمتين فإنه ينبغي تأويل العين إلى العلم.. وهكذا..

فيتوصلون بهذه الجملة العامة قولهم (واحد لا شبيه له) أن الاتفاق في الأسماء يلزم منه الاتفاق في الحقائق، **ونحن نقول**: كلا، لا يلزم من الاتفاق في الأسماء الاتفاق في الحقائق فهذه يد، وأُكرة الباب نسميها يد، أليس كذلك؟ نقول: يد الباب، ولا يلزم أن تكون يدٌ كيد مع اتفاق الأسماء؛ فإذا كان هذا التفاوت بين المخلوقات فلأن يكون بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

في المخلوقات: الجمل له قوة يحمل الأثقال حتى إنها تجعل عليه الأثقال وهو قد أُنيخ ثم يقوم بها، قوة هائلة ولا يوجد في الحيوانات من يكون كذلك، والنملة أو الذرة لها قوة تحمل بها عوداً، لكن ليست قوةٌ كقوة مع الاتفاق في الاسم، فإذا كان هذا التفاوت بين المخلوقات نفسها هذا له قوة وهذا له قوة ولم يلزم من اتفاق الاسم اتفاق المسمى فلأن يكون هذا التفاوت بين الخالق والمخلوق من باب أولى .

**إذاً**: قولكم أو زعمكم بأن (واحد لا شبيه له): يقتضي تأويل صفات الله عز وجل التي أثبت لنفسه إلى معاني مجازية مزعومة مُدَّعَاة؛ هذا باطل مردود عليكم بل نثبت ما أثبت الله لنفسه على الوجه اللائق به فنثبت إثبات بلا تمثيل وننزه الله تنزيهاً بلا تعطيل .

٣. **الثالثة**: وهي أهم ما يعولون عليه وما يركزون عليه وهي قضية أن الله (**واحد في أفعاله لا شريك له**) فيقولون: إن هذه أخص خصائص الإله، وهي القدرة على الاختراع ،حتى إنهم يَغْلُونَ في ذلك فيسلبون العبد فعله، ويجعلون العبد مُجبراً لا فعل له ولا قوة، فهذه الجملة الثالثة (واحد في أفعاله لا شريك له) يقصدون بها توحيد الربوبية، ويسودون الصفحات ويمضون الأوقات والأعمار في تقرير هذا الأمر البين الواضح وهو ربوبية الله تعالى التي لم ينازع فيها أحد، فكان سعيهم هَدَراً فهم يقررون شيئاً لا يُنَازَع فيه، يسوقون الأدلة على إثبات قضية لا منكر لها.

ومن طريف ما يذكر أن أحد كبارهم وهو **أبو المعالي الجويني** -غفر الله له ورحمه- كان من أساطين الأشاعرة ومُنَظِّرِيهم وله في ذلك كتب طويلة وكان يلقب بإمام الحرمين كان متضلعاً بعلوم الآله: علوم أصول الفقه والمنطق والعربية والفقه أيضاً الفروع فلقب بهذا اللقب لتبحره بهذه العلوم إلا أنه في أصول الدين وفي مسائل الاعتقاد سار على طريقة الأشاعرة وربما زاد عليهم أيضاً، فمر يوماً والناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ففتحت عجوز من عجائز نيسابور كَوَّةَ بابها وأطلت وقالت: من من هذا؟ قالوا: هذا الجويني قالت من الجويني قالو هذا الذي يثبت وجود الله بألف دليل فوضعت كمها على فيها تضحك وقالت وهل يحتاج وجود الله إلى ألف دليل! لا يحتاج، هذا أمر مغروز في الفطر.

فأكثر ما يُسوِّد به هؤلاء الصفحات ويقيمون عليه الأدلة: إثبات الربوبية، وضربوا صفحاً عن ما بعث الله تعالى به أنبيائه وهو توحيد الألوهية وتوحيد العبادة فلا تجد لهم في ذلك قدم صدق، فهذا مما أغراهم به الشيطان وألهاهم به وضيعت فيه أعمارهم وأدخلهم في متاهاتٍ من الشبهات التي لها أول وليس لها آخر ولهذا لم يظفروا من سعيهم هذا بطائل إلا الشك والتردد.

- ويُروى أن الجويني الذي سبق ذكره لما حضرته الوفاة بكى وقال: (لا أدري علام أموت، ليتني أموت على عقائد عجائز نايسابور) ذكر تلك العجوز التي قالت تلك المقالة فتمنى أن يموت على الفطرة الأصلية ليتني أموت على عقائد عجائز نايسابور، وقال: لقد خضت البحر الخضم وتركت علوم أهل الإسلام -يعني علوم الكتاب والسنة- واشتغلت بعلم الكلام فياويل الجويني إن لم يتداركه الله برحمته -غفر الله له-.

- ومنهم: **الرازي**، وهو أيضاً ممن قَعَّدَ لمذهب الأشاعرة واستطال على أهل السنة بالكلام والتأنيب والتقريع، لما كان في آخر عمره ندم ندماً شديداً وأنشد أبياتاً قال فيها:

نهايةُ إِقدامِ العقولِ عِقَالُ وأكثرُ سعي العالمينَ ضَلالُ

وأرواحنا في وحشةٍ من جُسُومنا وغايةُ دنيانا أذىً ووَبالُ

ولم نستفدْ من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالُ

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمذاهب الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ووجدت أقرب الطرق طريقة القران، أقرأ في الإثبات **{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] -**يعني: فأثبت الأستواء-، وأقرأ في النفي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١]** -يعني: فأنزه الله عن مماثلة المخلوقين-،ومن جرب تجربتي عرف معرفتي، وغيره وغيره .

– **كالحموي** الذي كان يقول إني آوي إلى فراشي فأضع الملحفه على وجهي فيدلي هؤلاء بحججهم فأنقلب على شقي الآخر وأضع الملحفة على وجهي فيدلي هؤلاء بحججهم فلا أزال أتقلب حتى يطلع الفجر.

**{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه: ٢]** ما أنزل الله هذا الدين لكي يشقى به العباد بل أنزله الله تعالى هدىً وبيان وشفاء لما في الصدور ورحمة وموعظة لهذا سعد به السعداء من الصحابة والتابعين والتابعون لهم بإحسان، وشقي بتركه هؤلاء الذين اجتذبتهم المسالك الدخيلة والمذاهب الرديئة التي أتت من اليهود والنصارى واليونان وغيرهم.

**هذا توحيد المتكلمين؛ يعبرون عنه بهذه الجمل الثلاث فيقولون: واحدٌ في ذاته لا قسيم له، واحدٌ في صفاته لا شبيه له، واحدٌ في أفعاله لا شريك له ..**

وقد عرفتم مآلاتها ومرادتها وأنه في أحسن الأحوال أنهم يقررون توحيد الربوبية الذي لا يحتاج إلى هذا، وأنهم تركوا ما بُعثت به الأنبياء والرسل من توحيد العبادة.

يقابل هؤلاء المتكلمين الذين يتخذون من العقل إماماً ويبجلون العقل وقد أوردتهم عقولهم هذه النهايات المؤلمة يقابلهم: الخرافيون من غلاة الصوفية.

**فإن الصوفية قد قَسَّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام قالوا: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.**

١) **توحيد العامه:** يقولون هو توحيدكم أنتم "يعني ما سبق تقريره من توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب، قالوا: هذا توحيد العامة هذا للجمهور هذا خطاب شعبي للناس، لكن فيما هو أخص وأدق وأرقى منه وهو توحيد الخاصة.

٢) **توحيد الخاصة،** وهو توحيده بالحقائق أي: أن يفنى بشهوده عن مشهوده، وبوجوده عن موجوده، ويغيب بذاته عن حاله، ونحو ذلك من العبارات المزخرفة بحيث أنه تنطمس شخصية المتعبد فلا يشهد عبادته ولا يشهد فعله لانغماسه في معبوده، ثم ما هو أشد منه عندهم أو أرقى **وهو:**

٣) **توحيد خاصة الخاصة** ويقصدون به –والعياذ بالله–: توحيد وحدة الوجود حيث يزعمون أن الخالق عين المخلوق وأن الله سبحانه وتعالى هو والخلق شيء واحد في كلام تقشعر له الأبدان وتشمئز منه النفوس فيزعمون أن هذه الدرجة وهي درجة وحدة الوجود بأن يستحيل الكون كله إلى عابد ومعبود.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

العبد ربٌ والرب عبدٌ ياليت شعري من المكلف

لو قلت ربٌ أو قلت عبدٌ أنى يكلف

ولهم في ذلك أشعار وزخارف في الشعر والنثر يُلبسون بها على أتباعهم، يزعمون أن هذا التوحيد هو أرقى أنواع التوحيد.

**ومن فروع هذا التوحيد الخبيث (توحيد وحدة الوجود)** أنهم يقولون: أن فرعون كان محقاً حينما قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤] ؛ لأنه في تلك الحال يشعر بحلول الرب فيه، وأنه قد قام فيه الإله فهو حينما قال: أنا ربكم الأعلى كان معذوراً وكان محقاً لأنه يعبر عن ما يجد، هذا الكفر الصراح رأيته مطبوعاً في كتاب لأحدهم بعنوان (إيمان فرعون)،لأحد هؤلاء الغلاة من الصوفية.

**ومن فروعه الخبيثة:** أن يُصَوِبُوا جميع الأديان ولا يرون بينها فرقاً وأن كل قولٍ قيل فهو صواب وحق، حتى قال ابن عربي الطائي الأندلسي –وهو عندهم الإمام الأكبر والقطب والغوث ويخلعون عليه الصفات– **يقول:**

لقد كنت قبل اليوم أُنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دَاني

فقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ وديرُ لرهبانِ

وألواحُ توراةٍ وكعبةُ طائفٍ وإنجيلُ رهبانٍ ومصحفُ قرانِ

أَدِينُ بدينِ الحُبِّ أنى تَوجَهَتْ رَكَائِبُهُ فالحب ديني وإيماني

**ويقول:**

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائداً وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوه

ولهم في هذا شعر ونثر –عافانا الله وإياكم– استهوتهم فيهم الشياطين وصورت لهم أنهم بلغوا غايات ودرجات من التوحيد لم يبلغها غيرهم، ويسفهون توحيد العامة والحق أن توحيد العامة الذي سفهوه وازدروه هو توحيد الأنبياء والمرسلين، ولهذا كان أكمل الناس توحيداً الخليلان: إبراهيم عليه السلام، ومحمد عليه الصلاة والسلام، وقد كانا ينطقان بالتوحيد ويعبدان الله عز وجل ولم يفوها بشيء مما قاله هؤلاء المهوسون من زنادقة الصوفية، وإنما تسلل إلى هؤلاء الصوفية شيء من النسك الأعجمية والفلسفة الأغريقية فخلطوها بعبارات دينية إسلامية وألبسوها هذا اللُبوس ولبَّسُوا بها على العوام وإنما في الحقيقة خرجوا بهم عن دين الإسلام.

فزعمهم بأن التوحيد ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة؛ هذا باطل وأفك وبهتان مبين، فلا توحيد إلا التوحيد الذي دعت إليه الأنبياء والمرسلون: عبادة الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة في الاعتقاد والقول والعمل؛ فله المحبه التي يختص بها محبة السر، وله الخوف الذي يختص به خوف السر،

وله الرجاء الذي يختص به رجاء السر، فلا يحب غير الله محبة لا تليق إلا بالله **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥]** غاية الحب لله عز وجل.

غاية الخوف لله عز وجل، فمن خاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر.

**الرجاء لله:** من رجا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وقع في الشرك الأكبر.

**التوكل:** من توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وقع في الشرك الأكبر.

من إستعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر .

وقل هذا في جميع العبادات هذا التوحيد الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وبه كان أول المسلمين وبلغ أعلى درجات العبودية لله تعالى ولم يزل عليه الموفقون من أهل الإسلام يعضون عليه بالنواجذ و يخلصونه من شوائب الشرك فهذا توحيدنا وذاك توحيدهم والحمد لله رب العالمين .

**قال الشيخ رحمه الله: (ولا شئ مثله):** هذا معنى قول الله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١] فلا شيء مثله سبحانه وتعالى، وهذا اللفظ يدل على إبطال التشبيه بنوعيه: تشبيه المخلوق بالخالق، وتشبيه الخالق بالمخلوق. فلا يجوز أن يشبه الله بشيء من مخلوقاته.

واعلموا –يا رعاكم الله– أن اول من قال بالتشبيه في هذه الأمه أوائل الرافضة، قدماء الرافضة كهشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي ثم بعد ذلك تحولت الرافضة إلى مذهب المعتزلة وقالوا بإنكار الصفات. ويقابل هذا التشبيه تشبيه المخلوق بالخالق بأن يعتقد بأن للمخلوق من الأفعال والصفات والحقوق ما يكون لله عز وجل.وسنزيد هذا بياناً في اللقاء القادم.

**والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..**